

الغدير

[243] ثم إن للأمة المسلمة أبا تنزيلاً روحياً هو أحق بالأبوة من الخليل عليه السلام وهو نبيها الأقدس محمد صلى الله عليه وآله كما مر حديثه، وبها حياتها الحقيقية، وهو الذي يدعوهم لما يحييهم، ومنه كيانها المستقر، وعزها الخالد، فهو أولى باللحمة من أبيه الخليل وصاحبه أبي بكر. والعجب كل العجب في عد أبي بكر أبا ثانياً للأمة لأنه فتح لها باب الدخول إلى الإسلام، وإن الذي فتح باب الإسلام بمصراعيه لدخول الأمم فيه، ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا، هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بدعوته الكريمة، وبراهينه الصادقة، ومعجزه المعلومة، ونواميسه المقدسة، وخلائقه الرضية، ومغازيه الدامية. فهو أولى بأن تكون له لحية في الجنة. على أن الأمة قط لم تعرف باباً فتحه الخليفة لها إلى الإسلام، ولم يدر أي أحد أنه متى فتحه، وأين فتحه، ولماذا فتحه، وأي باب هو نعم. لا تخفى على الأمة جمعاء أنه غلق باباً عليها وحرّمها من خير أهلها وعلمه ورشده وهداه، ألا: وهو باب مدينة علم النبي مولانا أمير المؤمنين بالنص المتواتر، وهو الباب الذي منه يؤتى إلى الله، وإليه يتوجه الأولياء، فلولا انتزاع الأمر منه لانتشرت علومه، وزهرت معالمه، وتبلغت حكمه، وعمل بأحكامه، فأكل الناس من فوقهم ومن تحت أرجلهم، منهم أمة مقتصة وكثير منهم ساء ما يعملون، لكنه عليه السلام منع عن حقه فجهلت العباد، وأجدبت البلاد، وصوحت المزارع، وظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس، وإلى الله المشتكى. وإن أراد القائل من فتح الباب بدئة الفتوح في أيام الخليفة؟ فالخليفة الثاني على ذلك أجدر باللحمة منه، لأن عمدة الفتوح وقعت في أيامه. نعم: إن يكن هناك من يحق أن يعد للأمة أبا ثانياً تنزيلاً بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهو مولانا أمير المؤمنين عليه السلام الذي به كان تمام الدعوة؟ والنجاح في المغازي، وهو نفس النبي القدسية وخليفته المنصوص عليه، ولذلك جاء من طريق أنس بن مالك عنه صلى الله عليه وآله وسلم قوله: حق علي على هذه الأمة كحق الوالد على الولد، ومن طريق عمار و أبي أيوب الأنصاري قوله: حق علي على كل مسلم حق الوالد على ولده (1). (1) الرياض النضرة 2 ص 172 نقلاً عن الحاكم، كنوز الدقائق ص 64 نقلاً عن الديلمي، مناقب الخوارزمي ص 244، 254، فرائد السمطين لشيخ الإسلام الحموي، نزهة المجالس 2 ص 212. [*]